

بناء علم اللاهوت الكتابي

الدرس 3: التطورات التاريخية في العهد القديم

يوجد في بلدي لعبة تسمى "من هو الطفل؟" ويقوم فيها اللاعبون المستضيفون بتوزيع صور لضيوفهم البالغين تعود إلى أيام طفولتهم، ويحزر الجميع من هو صاحب كل صورة. ويمكن، عادة، مطابقة بعض الصور مع بعض الضيوف. ولا يبدو البالغين تماماً كما كانوا في طفولتهم، لكن غالباً ما تبقى بعض الملامح في الوجه- كشكل العينين، أو الابتسامة المشرقة- مشابهة بصورة كافية بحيث يمكننا معرفة أي من الأطفال هو الشخص البالغ أمامنا.

ينطبق شيئاً مماثلاً على لاهوت العهد القديم. حيث يغطي العهد القديم آلاف السنين التي تغيّر خلالها لاهوته بشكل لا بأس فيه. حيث لم يكن اللاهوت في مراحله الأكثر نُضجاً قرب النهاية، تماماً مثل اللاهوت في مراحله الباكرة، الناشئة. لكن عندما ننظر بتمعن أكثر، يمكننا أن نرى أن العهد القديم ما زال يمثّل فعلاً الإيمان ذاته الذي نما مع الوقت.

هذا هو الدرس الثالث في سلسلتنا بناء علم اللاهوت الكتابي وقد دعونا هذا الدرس التطورات التاريخية للعهد القديم. سنرى في هذا الدرس، أن علم اللاهوت الكتابي يركّز على كيفية تطوّر لاهوت العهد القديم مع مرور الوقت.

لقد رأينا في درسنا السابق أن المسيحيين استخدموا ثلاث استراتيجيات رئيسية لفهم الأسفار المقدسة: التحليل الأدبي، أي النظر إلى الكتاب المقدس كصورة أدبية مُصمّمة لنقل معايير معينة؛ التحليل الموضوعي، أي النظر إلى الكتاب المقدس كمرآة تعكس القضايا التقليدية أو المعاصرة؛ والتحليل التاريخي، أي النظر إلى الكتاب المقدس كنافذة على الأحداث التاريخية التي يسجلها. ورأينا أيضاً أن علم اللاهوت الكتابي يركّز بشكل رئيسي على التحليل التاريخي

للأسفار المقدسة، نأظراً بصورة خاصة إلى طرق تدخل الله في الأحداث التاريخية المسجلة في الكتاب المقدس.

لهذا السبب، عرفنا فرع دراسة علم اللاهوت الكتابي بهذه الطريقة: "علم اللاهوت الكتابي هو التأمل اللاهوتي المُستمد من التحليل التاريخي لأعمال الله المذكورة في الكتاب المقدس". ويركز علم اللاهوت الكتابي على السجلات الكتابية لأعمال الله، ويستخلص استنتاجات للاهوت المسيحي من تلك الأحداث.

رأينا في الدرس السابق، كيف يبتكر اللاهوتيون الكتابيون تركيبات تزامنية للاهوت العهد القديم، بالنظر إلى فترات من التاريخ كوحداث تزامنية للوقت، وبتمييز البنى اللاهوتية التي نتجت عن تقاطعات إعلاني العمل والكلمة الإلهيين خلال تلك الفترات. سنوجه انتباهنا، في هذا الدرس، إلى اهتمام رئيسي ثانٍ لدى اللاهوتيين الكتابيين يتعلق بلاهوت العهد القديم، وهو "التطور التاريخي"، أي الطرق التي نمت من خلالها البنى اللاهوتية أو تطورت عبر الزمن.

وحتى نستكشف هذا الموضوع، سنتناول ثلاث مسائل رئيسية. أولاً، سنكتسب [توجهاً أساسياً] نحو التطور التاريخي. ثانياً، سنستكشف كيف حدثت [التطورات الزمنية] بين الفترات التاريخية الرئيسية أو الحقبات. وثالثاً، سننظر إلى كيفية [تطور] [مواضيع] محددة عبر الزمن في العهد القديم. دعونا نبدأ بتوجه أساسي نحو التطور التاريخي.

إن إحدى أفضل الطرق لتقديم فكرة التطور التاريخي هي بالتركيز على ما نعنيه بكلٍ من هذه الكلمات. سننظر أولاً إلى مصطلح "التاريخي". ثانياً سننتقل إلى ما نعنيه "بالتطور". وثالثاً

سننظر إلى مثال كتابي لتقييم التطور التاريخي في العهد القديم. لننظر أولاً إلى مصطلح "التاريخي".

إن مصطلح "التاريخي" مشتق من كلمتين يونانيتين: أولاً، حرف الجر **dia** الذي يعني عادةً "خلال"، أو "طوال"؛ وثانياً، الاسم اليوناني **chronos** الذي يعني "الزمن". وتتعلق كلمة "التاريخي" بمرور الوقت. ويشير مصطلح "التاريخي" بالنسبة لعلم اللاهوت الكتابي، إلى الطرق التي تغير فيها لاهوت العهد القديم، تحوّل، أو تطوّر عبر الزمن.

سيساعدنا أن نرى كيف تتعلق الاقترابات التاريخية للعهد القديم بالتركيب التزامني، الذي هو موضوع درسنا السابق. فمن جهة، سنرى كيف أنها [تختلف] مع التركيب التزامني. ومن جهة أخرى، سنرى الاعتماد المتبادل بين الاقترابين، التاريخي والتزامني. لتأمل أولاً كيف تختلف عن بعضها البعض.

ستذكر أننا قارنا التركيب التزامني للعهد القديم بتركيز انتباهنا على مشاهد معيّنة في فيلم، ناظرين إلى أجزاء متماسكة نسبياً من فيلم واحد تلو الآخر. يركّز التركيب التزامني على البنى اللاهوتية التي نشأت ضمن فترات مختارة من التاريخ الكتابي. ما الذي أعلنه الله في هذه الفترة أو تلك؟ بالمقابل، إن النظر إلى العهد القديم بصورة تاريخية هو بمثابة التركيز على قصة فيلم بينما تنتقل من مشهد لآخر. إنه التركيز على الطرق التي يكشف بها الفيلم الدراما تدريجياً من البداية إلى النهاية. وتركّز الاقترابات التاريخية للكتاب المقدس على الطريقة التي تتكشف فيها البنى اللاهوتية تدريجياً عبر الزمن. كيف تطوّرت إعلانات الله مع تقدم التاريخ؟

تأمل في الفترة القصيرة نسبياً، التي غطاها خروج إسرائيل من مصر في خروج (1: 1-19: 1). تطرح نظرة تزامنية لهذه الفترة أسئلة مثل: "ما الذي عمّله الله وقاله في هذه الفترة ككل؟" ما هي أنواع البنى اللاهوتية التي أُقيمت خلال كل هذه الفترة؟ لكن تهتم النظرة التاريخية أكثر بالتغيرات التي حصلت في البنى اللاهوتية. وتطرح أسئلة مثل: "ما هي التغيرات التي حدثت في اللاهوت بينما عمّل الله وتكلم بطرق مختلفة خلال هذه الفترة من الزمن؟" ما هي التطورات اللاهوتية التي حدثت من زمن طفولة موسى الباكّة إلى دعوته في زمن العليقة المشتعلة؟ وكيف استبق إعلان الله في العليقة المشتعلة عمله في مصر؟ وتصبح هذه المسائل والعديد من المسائل الأخرى المشابهة، الاهتمام الرئيسي في الاقترابات التاريخية لهذا الجزء من العهد القديم.

رغم الاختلاف بين الاقترابين التاريخي والتزامني، فإنهما يعتمدان تبادلياً على أحدهما الآخر كثيراً. في الواقع، لا يمكن السعي وراء أحد هذين الاقترابين طويلاً دون الآخر. لهذا السبب عندما يتناول اللاهوتيون الكتابيون الأسفار المقدسة، فهم ينتقلون ذهاباً وإياباً بين الأسلوب التزامني والأسلوب التاريخي بطرق متنوعة.

تأمل كيف يجب أن ننقل بين الاقترابين التزامني والتاريخي، بينما تتسع نظرتنا من الفترات الزمنية القصيرة، إلى الفترات الأطول. في البداية، تسبق بعض التحاليل التاريخية حتى التركيب التزامني القصير جداً. ويجب أن نفهم التغيرات اللاهوتية من الناحية التاريخية حتى نجد طريقة لتلخيص ما حدث في فترة معينة من الوقت.

وعندما نتأمل فترات زمنية أطول، يعتمد تحليلنا التاريخي على التركيب التزامني. فنقوم أولاً

بالتركيب التزامني لعدة فترات زمنية قصيرة، ثم نتبع كيف تحوّلت البنى اللاهوتية عبر الزمن بين تلك الفترات الزمنية القصيرة. وبعد أن نفهم هذه الفترة الزمنية الأطول، بشكل تاريخي، بإمكاننا تركيبها ككل. ويستمر هذا النوع من التنقل ذهاباً وإياباً، حتى نصل إلى الإعلان الكتابي الكامل.

رغم اختلاف الاقترابين التزامني والتاريخي، يجب ألا ننسى أبداً أنه لا يمكن اتباع استراتيجية واحدة دون قدرٍ من الاعتماد على الأخرى. وليست المسألة أن أحد الاقترابين مهمٌّ أو تأسيسيٌّ أكثر من الآخر. إن الاقترابين، التزامني والتاريخي، مهمين لفهم لاهوت العهد القديم بصورة صحيحة.

بعد أن فهمنا الفكرة الرئيسية من الاقتراب التاريخي للعهد القديم، يجب أن نشرح ما نعنيه بالتطوّر التاريخي.

نحن نستخدم مصطلح "تطوّر" بدلاً من التحدث ببساطة عن التغييرات التاريخية، وذلك للدلالة على فكرتين رئيسيتين: أولاً، تتحرك التغييرات في البنى اللاهوتية للعهد القديم دائماً نحو إتمام [أهداف الله] للتاريخ. وثانياً، نتحدث عن التطوّر لأن التغييرات اللاهوتية تحدث فقط من خلال [تدخل] عناية [الله] في التاريخ. تأمل أولاً في الأهداف الإلهية وراء كل تغيير في لاهوت العهد القديم.

تؤكد الأسفار المقدسة، من البداية إلى النهاية، أن كل شيء في التاريخ، بما في ذلك التحوّلات في اللاهوت، تتمّ دائماً أهداف الله الثابتة لخليقته.

يعكس إشعياء (10: 46) وجهة نظر شائعة في العهد القديم. هناك نقرأ هذه الكلمات: «مُخْبِرٌ مُنْذُ الْبَدْءِ بِالْأَخِيرِ وَمُنْذُ الْقَدِيمِ بِمَا لَمْ يُفْعَلْ قَائِلًا رَأْيِي يَقُومُ وَأَفْعَلُ كُلَّ مَسْرَتِي». تكشف هذه الآية وفقرات أخرى نظرة العهد القديم الشائعة بأن التاريخ يتبع المسار دائماً، ويبلغ الأهداف التي رسمها الله له.

لا توجد أهداف الله في التاريخ فقط كأهداف شاملة بعيدة المدى، لكن كأهداف محدّدة قصيرة المدى أيضاً. على سبيل المثال، إن لدى الله أسباب محددة قصيرة المدى حتى ينصّب داود ملكاً على إسرائيل؛ حيث أراد أن يوحدّ شعب إسرائيل عن طريق تأسيس سلالة وعاصمة دائمتين. وحدثت تطوّرات لاهوتية، خلال كل إطار زمني، متممة أهداف الله القصيرة المدى. لكن كما رأينا خلال هذه السلسلة، إن لدى الله هدف ملكوت شامل في التاريخ أيضاً. فقد كانت خطته منذ البداية، أن يمجد نفسه من خلال نشر ملكوته السماوي إلى كل الأرض من خلال عمل صورته، وتوحدّ هذه الخطة كل أهداف الله. على سبيل المثال، على الرغم من أنه كان لملك داود أهدافاً فورية في خطة الله لإسرائيل، فقد كان مُتقدِّمَ خطوة نحو الهدف الأعظم لنشر ملكوت الله إلى أقصى الأرض. ومهدّ استمرار سلالة داود الطريق لمجيء المسيح، ابن داود الكلي الأمانة، الذي سيعدّ الأرض للحضور المجيد للآب. وقد بدأ الله التاريخ محتفظاً بهذا المصير العظيم في ذهنه، وسيبلغ كل حدث في التاريخ هذه الغاية المجيدة حتماً. ولم تكن التحولات في البنى اللاهوتية للعهد القديم عشوائية أو بلا جدوى. بل كانت هادفة. فقد حققت أهداف الله القصيرة المدى بنجاح، بالإضافة إلى تحقيق خطة ملكوته.

بعد معرفة أن التغييرات اللاهوتية في العهد القديم نقلت التاريخ بطريقة نهائية نحو أهداف الله، نحتاج أن نضيف أن هذه التطورات حصلت في اتصال مع تدخل عناية الله في التاريخ.

عندما لا نعطي انتباهاً للتفاصيل، كثيراً ما يبدو التطور اللاهوتي للعهد القديم مثل مشهد طريق يظهر لنا من بعيد. عندما نبقى بعيدين عن التفاصيل، يبدو طريق التغييرات اللاهوتية سهلاً ومستقيماً. لكن عندما نلقي نظرة أقرب، نجد أن طريق العهد القديم مليء في الواقع بانحدارات حادة، نزول سريع، ومنعطفات قاسية إلى اليسار وإلى اليمين. إن هذه التحولات المفاجئة ناتجة عن عناية الله، أي تدخله المعقد في خليقته.

كانت بعض الإعلانات الإلهية مرتبطة، بدون شك، بالظروف التاريخية بطرق نتوقعها. على سبيل المثال، أمر الله موسى أن يبني خيمة الاجتماع المتنقلة، لأن بني إسرائيل كانوا بحاجة لأن يعبدوه أثناء سفرهم نحو أرض الموعد.

في الوقت ذاته، غالباً تظهر لنا بعض التطورات اللاهوتية التي حدثت في العهد القديم على أنها عشوائية، أو متعذرة التفسير. والتفسير الوحيد الذي يمكننا التمسك به بكل يقين، هو أن الله ببساطة أراد لهذه التحولات اللاهوتية أن تحدث.

خذ على سبيل المثال العديد من الممارسات الطقسية التي طلبها الله من شعب إسرائيل في العهد القديم. حيث أمر الله بالعديد من الممارسات ليجعل من شعبه شعباً مقدساً. والمدهش أن بعض جوانب هذه الشرائع الطقسية يبدو كعلامات قداسة، وخاصةً لأنها تتناقض مع ممارسات الثقافات الأخرى، بما فيها الحضارات الكنعانية المحيطة بإسرائيل. لكن كان هناك علامات أخرى للقداسة، مشابهة جداً لممارسات الثقافات الأخرى بما فيها الكنعانيين. في الواقع، أمر الله

الإسرائيليين أحياناً بتمييز أنفسهم، بينما أمرهم في أحيان أخرى، أن يقوموا بأمر بطرق مشابهة جداً لطرق جيرانهم. لماذا فعل إعلان الله ذلك؟ ما هو سبب هذه الاختلافات في إعلانه؟ رغم أننا قد نخطو بعض الخطوات الواسعة في الفهم، في النهاية، نحن ببساطة لا نعرف لماذا. والشيء الوحيد الذي نعرفه بالتأكيد هو أن الله صمّم لإعلانه أن يتطوّر بهذه الطرق.

كما ونشأ نوع ثالث من التطوّر التاريخي عندما تجاوب الله مع خيارات البشر والمخلوقات ذات الإرادة الأخرى. على سبيل المثال، تَعَزَّبَ تاريخ إسرائيل مع الفشل البشري الذي أدى إلى إعلان الله عن نفسه بطرق حققت تطوّرات لاهوتية محدّدة. نذكر منها مثلاً: قدّم الله للجيل الأول من زمن الخروج ملكية أرض الموعد، لكن خيانتهم أدت إلى رفضه لهم. قدّم أنبياء الله لشعب إسرائيل فرصة التوبة وتجنب الدينونة. لكن تَمَرَّدَ إسرائيل المستمر دفع الله لإرسالهم إلى السبي. بالطبع، لم يكن أيّ من هذه التغييرات خارجاً عن سيطرة سيادة الله. لكن، مراراً وتكراراً في الأسفار المقدسة، ومن وجهة النظر البشرية، كان العديد من التطوّرات اللاهوتية متوقّفة على خيارات البشر والمخلوقات الأخرى التي لها إرادة.

رغم أنه يحق لنا التحدث عن التغييرات في لاهوت العهد القديم وكأنها تطورية لأنها تحقق أهداف الله، علينا أن نضع في الاعتبار أيضاً مدى تعقيد هذا التطوّر. فقد أعلن الله ذاته من خلال أعماله وكلماته بعدة طرق مختلفة. ولهذا السبب، حدثت التطوّرات في لاهوت العهد القديم أيضاً بعدة طرق مختلفة.

يجب أن ننقل عند هذه النقطة، إلى مثالنا الكتابي، عن مؤلفي وشخصيات الكتاب المقدس في تعاملهم مع الأسفار المقدسة بشكل تاريخي. لكن من أجل أهدافنا، سننظر إلى مثال واحد فقط يوضح ويشرّع اهتمامنا بالتطورات التاريخية.

امتنح بعض الفريسيين يسوع في متى (19: 3)، بهذا السؤال:

«هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ لِكُلِّ سَبَبٍ».

أثار السؤال المطروح هنا موضوع جدال بين المدارس الرّبانية في زمن يسوع. وكانت اختلافاتهم مبنية على تعاليم موسى في سفر التثنية.

اصغ إلى ما كتبه موسى في تثنية (24: 1):

«إِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَتَزَوَّجَ بِهَا فَإِنْ لَمْ تَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ لِأَنَّهُ وَجَدَ فِيهَا عَيْبَ شَيْءٍ وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلَاقٍ».

كان هناك في زمن يسوع، جدل حول معنى عبارة "عَيْبَ شَيْءٍ". حيث آمن بعض معلمي الشريعة اليهودية الرابّيون أن هذا التعبير يعني ضمناً أن الطلاق كان شرعياً تقريباً لأي سبب يثير استياء الزوج، لكن فسّر معلمين آخرين هذه العبارة لتعني فقط "الزنا الجنسي".

اصغ إلى الطريقة التي أجاب بها يسوع الفريسيين في متى (19: 4-6):

«أَمَّا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدَنِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى وَقَالَ. مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونُ الْاِثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً. إِذَا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَداً وَاحِداً. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لَا يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ».

ولكي يجيب على سؤال الفريسيين، أعطى يسوع ملخصاً تزامنياً موجزاً عن الزواج بناءً على الإصحاحات الأولى من سفر التكوين.

ولاحظ أن يسوع لفت الانتباه إلى عدد من الميزات الخاصة لبني لاهوتية هامة "مِنَ الْبَدْءِ" قبل أن تُفسد الخطية ترتيب الله في الخليقة. وإشارةً إلى تكوين (1: 27)، دَوَّنَ يسوع أن الله عَمِلَ البشرية "ذَكَرًا وَأُنْثَى". ومقتبساً من تكوين (2: 24)، قال يسوع «مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونُ الْاِثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً». واستنتج يسوع عندها، "فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لَأُفَرِّقَهُ إِنْسَانٌ". كان مرسوم الخليقة الأصلي للزواج بأن يكون الرجل والمرأة المتزوجان جسداً واحداً. بعد أن شرح يسوع المعيار اللاهوتي للزواج في زمن الخليقة، سأله الفريسيون بوضوح عن تثنية 24.

اصغ إلى ما قالوه في متى (19: 7):

«فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلَاقٍ فَتُطَلَّقُ».

تماشياً مع المعتقدات في القرن الأول، عَرَفَ يسوع والفريسيون أن تعليم موسى عن الزواج كان منسجماً مع البنى اللاهوتية التي وضعها الله في البدء. وهكذا، كيف تمكن يسوع من الدفاع عن رأيه في ضوء ما قاله موسى عن الطلاق؟ شرح يسوع، في إجابته، أن تطوراً تاريخياً هاماً، أي تغييراً لاهوتياً، حصل بين زمن الخليقة وزمن موسى.

كما وصفها متى في متى (19: 8):

«إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلَكِنْ مِنْ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا». أشار يسوع هنا أنه مع حلول الوقت الذي أعطى فيه موسى الشرائع، ردّ الله على خطية الإنسان بتحويل لاهوت الزواج بطرق معينة. وناظراً إلى الأسفار المقدسة بطريقة تاريخية، قارن يسوع

بين زمن موسى وزمن آدم بقوله: «مِنَ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا»، ثم من خلال الاعتراف أنه في زمن موسى كانت قلوب [بني إسرائيل] قاسية.

وهكذا، استنتج يسوع أن الله استجاب مع هذه الحالة البشرية عن طريق السماح بالطلاق لأسباب معيّنة، رغم أنها لم تكن فكرة الله. كانت الشريعة في تثنية 24، نظام الله المتسامح رداً على قساوة قلب إسرائيل. وأدى تقييم يسوع التاريخي للزواج والطلاق، إلى استخراج وجهة نظر مقيدة جداً لأسباب الطلاق.

كما قرأنا في متى (19: 9):

«وَأَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلَّا بِسَبَبِ الزَّانَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي. وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي».

وهكذا نرى أن يسوع فهم الزواج والطلاق في ضوء التطورات التاريخية في لاهوت العهد القديم. في البداية، لم يكن الطلاق وارداً. ولاحقاً، عندما قسّت الخطية قلوب شعب الله، سُمِحَ بالطلاق ، لكن لم يُصادق عليه. وفي هذه الحالة، أدى تغيير في الحالة البشرية إلى تغيير في لاهوت العهد القديم. وقد برهنت الطريقة التي تعامل فيها يسوع مع العهد القديم هنا، أن التعامل مع لاهوت العهد القديم بطريقة تاريخية هو شرعيٌّ ومهمٌّ بالنسبة لنا اليوم أيضاً.

الآن وبعد أن أصبح لدينا توجهاً أساسياً نحو الاقتربات التاريخية للعهد القديم ، يجب أن ننقل إلى الموضوع الرئيسي الثاني في درسنا: التطورات اللاهوتية الزمنية.

تخيّل أنك تكتب رسالة إلى صديق عن السنة الماضية من حياتك. إن إحدى الاستراتيجيات التي يمكنك تبنيها، هي أن تشرح كيف اجتمعت عوامل هامة في حياتك معاً بطرق معيّنة، بحيث أنها قسّمت السنة إلى فترات يمكن تمييزها. على سبيل المثال، يمكنك أن تصف كيف تغيّرت حياتك العائلية، حياتك الكنسية، وحتى حياتك الداخلية الروحية في كل شهر من أشهر السنة. ويمكن أن تبدأ فقرات رسالتك كالتالي: "هذا ما حصل في كانون الثاني"؛ "هذه الأمور حصلت في شباط"؛ وهكذا. وبنفس الطريقة، كثيراً ما يصف اللاهوتيون الكتابيون تطوّر لاهوت العهد القديم بالنسبة للطرق التي قسّمت فيها إعلانات الله التاريخ إلى فترات وحقبات رئيسية.

حتى نستكشف التطوّرات الزمنية للاهوت العهد القديم، سنتطرق إلى مسألتين: أولاً، سننظر إلى التشديدات اللاهوتية المتنوعة لمختلف العصور في العهد القديم. وثانياً، سنستكشف الوحدة اللاهوتية العضوية بين العصور. دعونا ننظر أولاً إلى الطرق التي ينقسم فيها العهد القديم إلى حقبات لها تشديدات لاهوتية خاصة.

يوجد عدة طرق لتقسيم تاريخ العهد القديم إلى فترات لاهوتية رئيسية. حيث يمكننا التركيز على التقسيمات الجغرافية؛ كما يمكننا تقسيم العهد القديم وفقاً لتقسيماته الأدبية. لكننا سنوضّح التطوّرات الزمنية في هذا الدرس، بالعودة إلى ميزة هامة للعهد القديم ذكرناها في دروس سابقة من هذه السلسلة: وهي تأثير العهود الإلهية.

كما رأينا في الدرس السابق، يصف العهد القديم كل علاقة إلهية بشرية وفقاً لثلاث ديناميكيات عهدية: عرض الإحسان الإلهي، ضرورة الولاء البشري لله، وعواقب بركات الطاعة ولعنات

العصيان. وبقيت هذه الديناميكيات العهدية ثابتة في كل العهد القديم. ولذلك فإنها مفيدةٌ لتنظيم
البنى اللاهوتية العديدة التي تظهر في تاريخ العهد القديم.

لكن لم يكن العهد القديم عهدياً بمعناه العام ببساطة. فقد كان هناك ستة مرات أسس فيها الله
العهود الرئيسية مع تشديدات لاهوتية مميّزة: العهود مع آدم، نوح، إبراهيم، موسى، داود والعهد
الجديد. لكن من أجل أهدافنا في هذا الدرس، يكفي مراجعة سريعة للتشديدات اللاهوتية لكل عهد
رئيسي.

تنقسم عهود العهد القديم الستة إلى ثلاث فئات رئيسية. أولاً، **العهود الشاملة** مع آدم ونوح.
ثانياً، **العهود الوطنية** مع إبراهيم، موسى، وداود. وثالثاً **العهد الجديد** الذي أنبأ عنه أنبياء العهد
القديم. لننظر إلى هذه المجموعات الثلاث، بدءاً **بالعهود الشاملة**.

نتحدث عن العهدين مع آدم ونوح كعهود "شاملة" لأنها قُطعت بين الله وكل البشر. ولذلك،
تخبرنا البنى اللاهوتية لهذه العهود الكثير عن العلاقة بين الله وكل شعبه. ويشير العهد مع آدم
إلى حُكم العلاقات الإلهية البشرية التي تأسست في الإصحاحات الأولى من سفر التكوين.

رغم أن الكلمة العبرية بيريت، التي تُترجم عادةً "عهد"، لا تظهر في الإصحاحات الثلاثة الأولى
من سفر التكوين، فقد رأينا في سلاسل أخرى أنه يوجد دليلٌ وافراً لفهم علاقة الله مع آدم كعهد،
أو على الأقل كترتيبٍ يشبه العهد إلى حد بعيد.

وكونه التدبير العهدي الإلهي الأول، كانت التشديدات اللاهوتية لهذا العهد أساسيةً لكل الأسفار المقدسة، بحيث يمكننا تسميتها "عهد الأساسيات".

وقد تأثرت كل البنى اللاهوتية المحددة التي أُعلنت من أيام آدم إلى نوح، بعمق تشديدات العهد مع آدم. حيث أكد جميعها كيف كان الله كريماً قبل دخول الخطية بوضع البشر في جنته، وكيف كان رحيماً بعد السقوط في الخطية، عن طريق وعد البشر بالانتصار النهائي على الشر. وشدّدت العلاقة بين آدم والله أيضاً بأن لدى كل البشر مسؤولية أساسية للخدمة الوفية لخالقهم. علاوة على ذلك، توضح تلك الإصحاحات في سفر التكوين، البركات واللعنات التالية التي تأتي على البشر بينما يختاروا طاعة أو عصيان ما أوصى به الله.

إن العهد الثاني الشامل هو عهد الله مع نوح. وقد تم ذكر هذا العهد بوضوح في تكوين (6 و9).

أخذ الله في عهده مع نوح ميل الإنسان للخطية بعين الاعتبار، وبسط صبره نحونا بتوفير الاستقرار في الطبيعة. ولهذا السبب، يمكننا التكلم عن هذا العهد "كعهد الاستقرار".

كما قال الله في تكوين (8: 21-22):

«لَا أَعُودُ أَلْعَنُ الْأَرْضَ أَيْضاً مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ لِأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الْإِنْسَانِ شَرِيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلَا أَعُودُ أَيْضاً أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ. مُدَّةَ كُلِّ أَيَّامِ الْأَرْضِ زَرْعٌ وَحَصَادٌ وَبَرْدٌ وَحَرٌّ وَصَيْفٌ وَشِتَاءٌ وَنَهَارٌ وَلَيْلٌ لَا تَرَالُ».

وكما تقول الآية 21، أخذ الله بعين الاعتبار حقيقة أن "تَصَوُّرَ قَلْبِ الْإِنْسَانِ شَرِيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ".

وردّاً على خطية الإنسان المستمرة، أسس الله خطة طويلة الأمد لتبسط النعمة العامة لترتيب جديد للطبيعة، بحيث يتمكن البشر المفديون من إتمام أهدافه. وقد فعل الله هذا بتوفير عالم طبيعي أمين قابل للتنبؤ به، يمكننا فيه أن نتعثر ونقوم من جديد لخدمته.

ووصف تركيز ديناميكيات العهد مع نوح كل إعلان إلهي من زمن نوح إلى إبراهيم. وتأثر كل تفاعل إلهي بشري خلال هذه الفترة بعمق، باستقرار إحسان الله الطويل الأمد في الطبيعة، بالمطلب الشامل بالولاء لله ولأهدافه لكل البشر، وبنواحي محدّدة واجه من خلالها البشر عواقب البركات واللعنات، بينما شكلوا أمماً مميّزة انتشرت في كل الأرض.

وبعد العهود الشاملة، أسس الله عهداً وطنياً مع شعبه الخاص إسرائيل: العهود مع إبراهيم، موسى، وداود.

حصر الله تركيزه العهدي في هذه المراحل من التاريخ، بصورة خاصة مع مجموعة عرقية واحدة، مؤسساً إسرائيل كالشعب الذي سيقود باقي البشرية في خدمة الله.

ونجد إشارات واضحة إلى العهد مع إبراهيم في تكوين (15 و 17).

شدّد العهد مع إبراهيم على الوعود بالنمو العددي لإسرائيل وامتلاك أرض الموعد، التي سينشر منها بنو إسرائيل بركات الله إلى كل العالم. ولهذا السبب، يمكن وصف العهد مع إبراهيم "كعهد الوعد".

كلما درسنا امتداد الوقت بين إبراهيم وموسى، نجد أن تشديدات عهد الله مع إبراهيم وسمت الفترة بكاملها. إن إحصان الله الخاص نحو إبراهيم وأنساله، متطلباته المحددة للولاء من الآباء الأوائل، وأمثلة البركات واللغات لآباء إسرائيل تظهر مرة تلو الأخرى.

قطع الله عهداً ثانياً مع إسرائيل من خلال موسى، عندما أتى بهم إلى جبل سيناء.

يظهر السجل الرئيسي لعهد الله مع إسرائيل في خروج (19-24). وتشدد هذه الإصحاحات على كيفية تجميع الله للأسباط الاثني عشر، وتشكيله لهم كأمة موحدة سياسياً عن طريق إعطائهم الوصايا العشر وكتاب العهد. ولهذا السبب، يمكن تسمية العهد مع موسى "بعهد الشريعة".

وتأثرت البنى اللاهوتية المعلنة في الفترة ما بين موسى وداود، بعمقٍ بتشديدات عهد موسى مع الله. حيث قُدمت الشريعة كإحصان إلهي إلى إسرائيل. وحددت الشريعة الطرق التي كان على إسرائيل أن يكونوا بها أوفياءً لله. وتبرهنت العواقب المحددة للبركات واللغات في تاريخ إسرائيل الوطني الأولي وفقاً لشريعة موسى.

ولاحقاً، عندما أصبحت إسرائيل إمبراطورية نامية تحت حكم داود، قطع الله عهداً مع داود.

لا نعلم على وجه التحديد في أية فترة من حياة داود أسس الله هذا العهد بشكل رسمي، لكن صموئيل الثاني 7، أخبار الأيام الأول 17، مزمو 89، ومزمو 132 كلها تنقل المحتوى الأساسي للعهد مع داود. وقد شدد هذا العهد على الملك في إسرائيل. وحتى نكون أكثر تحديداً،

وعد العهد باستمرارية سلالة داود المَلَكِيَّة، بأورشليم كعاصمة إسرائيل، وبالعبادة في هيكلها. ورغم أن أفراداً من نسل داود سيتألمون عندما يبتعدوا عن الله، فإن اختيار الله لعائلة داود كسلالة إسرائيل العظيمة لن يُتْرَكَ أبداً. ولهذا السبب، يمكننا أن نسمي العهد مع داود، "عهد إسرائيل المَلَكِي".

أثرت ديناميكيات عهد داود المَلَكِي بعمق على البنى اللاهوتية، من أيام داود حتى نهاية العهد القديم. وقد وهب الله بطرق متنوعة، الكثير من النعمة إلى ومن خلال بيت داود. وطلب الولاء من الملوك الداوديين ومن الشعب الذي كان تحت سلطتهم. وكانت عواقب البركات واللعنات لإسرائيل وحتى للشعوب الأخرى، مرتبطة بصورة مباشرة أو غير مباشرة بسلالة داود المَلَكِيَّة.

بعد التشديد على العهدين، الشامل والوطني، يجب أن ننظر إلى العهد الجديد، أي العهد الرئيسي الأخير المذكور في العهد القديم.

واجه أنبياء إسرائيل، في التاريخ اللاحق من العهد القديم، الوقت الذي ستدخل فيه إسرائيل في السبي. ومع ذلك، تكلموا عن عهد سيُقام بعد السبي. وستتوب إسرائيل عن خطيتها، في ذلك الوقت، ويُدخِل الله التاريخ في ذروة مرحلته النهائية. وإلى جانب هذه البركات، قال الأنبياء أن الله سيقطع عهداً أبدياً مع شعبه.

إن ذروة العهد هذه مذكورة في عدة أماكن في الكتاب المقدس، لكن اصغ إلى الطريقة التي يتحدث فيها إرميا (31:31) عن العهد الجديد بشكل مباشر.

«هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُودَا عَهْداً جَدِيداً.»

لقد تم تصميم العهد الجديد ليحكم شعب الله عندما حقق الله وعوده ليعيد تأسيس شعبه بعد السبي، ولينشر ملكوته من خلالهم إلى أقصى الأرض. ولهذا السبب، يمكننا أن نتحدث عن العهد الجديد "كعهد التحقيق".

سننظر في العهد الجديد في دروسنا التالية بقرب أكثر. لكن عند هذه النقطة سنلخص ببساطة كيف ظهر تدريجياً. ويخبرنا العهد الجديد أن عصر تحقيق الوعود هذا تأسس بالمجيء الأول للمسيح. إن عمله الفدائي على الصليب، انتصاراً قيامته، صعوده، حلول الروح القدس في يوم الخمسين وعمل الرسل - كلها بدأت هذه الحقبة الجديدة من التاريخ الكتابي. ونختبر في يومنا هذا، استمرارية العهد الجديد من خلال انتشار الإيمان بالمسيح إلى أقاصي الأرض بواسطة الإنجيل. وسنرى اكتمال العهد الجديد عندما يعود يسوع ويجعل كل شيء جديداً.

يصف العهد الجديد كل بنية لاهوتية محدّدة من المجيء الأول للمسيح حتى عودته المجيدة. وقد كان إحسان الله في هذه المرحلة من التاريخ أعظم من أي وقت مضى، بينما عمل في المسيح، سكب الروح القدس وبشر من خلال الرسل. ويزكّرنا إعلان العهد الجديد أيضاً بطرق لا تُحصى، ننال من خلالها الإحسانات العديدة اليوم، لكن عندما يعود المسيح سننال نعمة ميراثنا الكامل في السماء الجديدة والأرض الجديدة.

بالإضافة إلى ذلك، يشدّد سجل العهد الجديد حول الفترة التي عاش فيها المسيح على الأرض بأن الجميع مطالبون بأن يكونوا أوفياء له. وكان هذا صحيح على أيامه، ويستمر في أيامنا أيضاً. ويشرح العهد الجديد أنه عندما يعود المسيح، سنقدّم له جميعاً ولاءً ثابتاً.

ويعرض إعلان العهد الجديد عواقب البركات واللعنات. حيث يسجل العواقب الضخمة للخيارات التي صنعها من كانوا على اتصال بالمسيح وبالرسل عند تأسيس ملكوت المسيح. وهو يحدد الطرق علينا أن نعتبر فيها الآن عواقب الطاعة والعصيان. وبالطبع، تتضمن رؤيا العهد الجديد لعودة المسيح عواقب العهد في المكافأة والدينونة النهائية الأبدية.

وهكذا، أثرت العهود الإلهية الرئيسية الستة في لاهوت الوقت الذي أُعلنت فيه بشكل عظيم، حتى أنها زودتنا بطرق لفهم التشديدات المختلفة للحِقَبَات التاريخية الرئيسية في الكتاب المقدس. حيث قدّم العهد مع آدم **عصر الأساسيات**؛ بدأ العهد مع نوح **عصر استقرار طبيعي**؛ أسس **العهد مع إبراهيم وعوداً لإسرائيل**؛ قدّم العهد مع موسى **ناموس الله**؛ شدّد **العهد مع داود على الملكية**؛ وتمّ **العهد الجديد** التحقيق النهائي لكل تلك العهود.

رغم الاختلافات في التشديد في كل حِقَبَة عهد، يمكننا التكلم عن **الوحدة العضوية** للاهوت في تلك العصور. ولم تكن حقبات تاريخ العهد القديم مختلفة تماماً عن بعضها البعض. إلا أنها أظهرت استمراريةً مع بعضها البعض، مثل مراحل النمو في الكائنات الحية.

لكي نفهم هذه **الوحدة العضوية** بشكل أكمل، سنستكشف ثلاث نواحٍ للعلاقة بين عصور العهود المختلفة. أولاً، سنلاحظ كيف توحدت عهود العهد القديم **كتدابير لملكوت الله**. ثانياً، سننظر إلى **السلطة الناتجة** عن العهود السابقة بالنسبة للعهود اللاحقة. وثالثاً، سنتكلم عن الحاجة إلى **تطبيق العهود السابقة على العهود اللاحقة**. لننظر أولاً إلى وحدة عهود الله **كتدابير لملكوته**.

خدمت العهود الإلهية الرئيسية في الأسفار المقدسة كالطرق الرئيسية التي أدار بها الله ملكوته من خلال مراحلها التاريخية المتنوعة. وعندما تحرّك تاريخ العهد القديم نحو هدف نُشر مُلك الله في كل العالم، أسس الله العهود المختلفة ليوجّه الحياة في ملكوته بطرق محدّدة وفي أوقات محدّدة. لكن تشاركت جميع عهود العهد القديم في الهدف النهائي نفسه: وهو نشر ملكوت الله المجيد في كل الأرض.

ويجب أن تقودنا هذه المهمة التدبيرية للعهود، إلى أن نتوقع الكثير من الوحدة بين العهود. فهي لم تكن برامج منفصلة أهملت أو ناقضت بعضها البعض. إنما كانت متصلة ببعضها البعض بشكل غير منفصل من خلال هدفها الواحد في الملكوت.

في الواقع، إن الترتيب الذي تظهر فيه عهود العهد القديم، يكشف وحدتها. فقد أسس العهد مع آدم المفاهيم الأساسية لهدف ملكوت الله وخدمة البشرية في بلوغ ذلك الهدف. ثبت العهد مع نوح الاستقرار الطبيعي كالميدان الذي ستُتاح فيه للبشرية الساقطة فرصة بلوغ هدف ملكوت الله. أسس العهد مع إبراهيم إسرائيل كالمجموعة العرقية التي ستقود باقي البشرية نحو هدف ملكوت الله. أعلن العهد مع موسى الشريعة التي ستقود هذه الأمة القائدة نحو هدف الملكوت. أتى العهد مع داود بسلالة ملكية دائمة تستمر في قيادة الشعب نحو الغاية ذاتها. وأخيراً، عالج العهد الجديد بصورة دائمة فشّل البشرية وأكمل هدف ملكوت الله. وتدل هذه المضامين المنطقية بين عهود العهد القديم على أنها جميعها موحّدة كتدابير لملكوت الله.

بعد أن رأينا كيف أن عهود العهد القديم نظّمت الهدف الواحد لملكوت الله، علينا أن ننظر أيضاً إلى وحدتها العضوية بالنسبة إلى سلطانها.

عندما ننظر كيف اعترِفَ بعصور العهد السابق في بنى الفترات اللاحقة، يصبح واضحاً بسرعة أن سلطة العهود السابقة امتدت إلى الفترات اللاحقة دائماً.

هناك طرق لا تحصى تُظهر صحة ذلك، لكن من أجل التبسيط، سننظر في اتجاهين فقط. أولاً، السلطة المستمرة للعهود قبل موسى، وثانياً، السلطة المستمرة للعهد مع موسى.

عندما نرى كيف تعامل موسى مع العهود الإلهية التي أتت قبله، قد يبقى هناك القليل من الشك أنه اعتبرها ذات سلطة في يومه. تأمل في [سفر التكوين]، حيث كتب موسى عن العهود مع آدم، نوح، وإبراهيم. وقد تأسست تلك العهود قبل زمنه بوقت طويل، لكنه كتب عنها في سفر التكوين ليؤكد سلطانها بالنسبة للإسرائيليين الذين عاشوا في زمنه. ولم يؤمن موسى أنه قد تم استبدال العهود السابقة مع آدم، نوح، وإبراهيم أو إلغائها. وقد كتب عنها كما فعل في سفر التكوين، لأنه آمن أن لها سلطان على حياة بني إسرائيل تحت عهد الشريعة الذي تأسس في سيناء. واستمر سلطان العهود السابقة في توجيه حياة الناس الذين عاشوا في الفترة اللاحقة، في زمن موسى.

ثانياً، عندما نتأمل في العهد مع موسى نفسه، يبدو واضحاً أيضاً أن لهذا العهد سلطان مستمر حتى بعد زمنه.

اصغ على سبيل المثال، إلى الطريقة التي تكلم بها سليمان عن العهدين مع داود وموسى معاً في أخبار الأيام الثاني (6: 16).

«وَالآنَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ احْفَظْ لِعَبْدِكَ دَاوُدَ أَبِي مَا كَلَّمْتَهُ بِهِ قَائِلاً لَا يُعَدُّمُ لَكَ أَمَامِي رَجُلٌ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ إِنْ يَكُنْ بَنُوكَ طُرُقَهُمْ يَحْفَظُونَ حَتَّى يَسِيرُوا فِي شَرِيعَتِي كَمَا سَرَتَ أَنْتَ أَمَامِي».

أشار سليمان في هذه الفقرة أولاً، إلى عهد الملك مع داود عندما قال عن داود: "لَا يُعَدُّمُ لَكَ أَمَامِي رَجُلٌ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ". لكن لاحظ كيف انتقل سليمان بصورة سلسة إلى العهد الموسوي. حيث أضاف أن أولاد داود سيملكون، بالقول "إِنْ يَكُنْ بَنُوكَ طُرُقَهُمْ يَحْفَظُونَ حَتَّى يَسِيرُوا فِي شَرِيعَتِي كَمَا سَرَتَ أَنْتَ أَمَامِي". تُبرهن كلمات سليمان هنا أن شريعة موسى بقيت ذات سلطان بالنسبة لشعب الله حتى بعد تأسيس العهد مع داود.

سنقوم بعد قليل بإضافة بعض المؤهلات لما سبق ورأينا، لكن تشير هذه الأمثلة إلى أن عهود العهد القديم اللاحقة لم تقلل من سلطان ما أعلنه الله في العهود السابقة. بل على العكس، كان للبنى اللاهوتية لحِقَبَات العهد السابق، سلطة ثابتة في الحِقَبَات اللاحقة.

رغم أهمية الإقرار بالسلطة الثابتة للعهد السابقة، يجب أن نقرّ أيضاً بأن امتداد لاهوت العهود السابقة إلى الفترات اللاحقة، تطلّب دائماً التطبيق الحذر. ويجب أن تطبّق مبادئ الحِقَبَات الباكّة بطرق تتلاءم مع الفترات اللاحقة.

فكر بالأمر بهذه الطريقة. يعرف كل والد أنه عندما نعطي تعليمات للأولاد، يجب أن تتناسب تلك التعليمات مع أعمارهم. على سبيل المثال، يقول معظمنا لولد في الرابعة من العمر، "لا تلمس الفرن". لكن تخيل أن تطلب من ابنتك التي هي في الثامنة عشر من العمر أن تصنع فطوراً، وأنها تجيبك: "لا أستطيع. لقد قلت لي ألا ألمس الفرن". ماذا سيكون رد فعلك؟ فقد تقول:

"أنتِ لستِ في الرابعة من العمر. فلا بأس عليكِ إذا لمستِ الفرن الآن". لكن افترض أنها مهملة وأحرقَتْ نفسها. فقد تقول عندها: "لِمَ لَمْ تكوني حريصةً أكثر؟ لقد قلتُ لكِ أن الأفران حَظِرَةٌ". وقد تعترض: "أنتِ لم تقل لي يوماً أن الأفران خطيرة. فكيف تجيب على ذلك؟ قد تقول: "لقد حذرتكِ أن الأفران حَظِرَةٌ في كل مرة قلتُ لكِ ألا تلمسي الفرن". عندما تُكلمِ ابنتك بهذه الطريقة، فإنك تقول لها فكرتين أساسيتين. فمن جهة، أنت لا تريدها أن تعود إلى تصرف فتاة في الرابعة من العمر، لكن من جهة أخرى، أنت لا تريدها أن تنسى الدروس التي علمتها إياها عندما كانت في الرابعة من العمر.

وبنفس الطريقة، تعامل الله مع شعبه في كل العهد القديم كأطفال ناضجين. ولهذا السبب، كان على شعب الله أن يتذكروا أمرين. أولاً، كان عليهم ألا يعودوا إلى العيش كما لو كانوا في عصر العهد السابق. ويعني فعل ذلك أن يرفضوا إعلانات معاصرة أكمل من الله. لكن ثانياً، كان على شعب الله في الفترات اللاحقة ألا ينسوا أبداً الحكمة التي علّمهم إياها الله في العصور السابقة. حيث كان عليهم أن يطبّقوا لاهوت الحِقَبَات السابقة على حياتهم بطرق أخذت إعلاني عمل الله وكلمته الجديدين بالحسبان.

على سبيل المثال، بُني العهد مع نوح على لاهوت عهد الله التأسيسي مع آدم، لكن تم تعديل مبادئ العهد الأول لتلائم التشديد على الاستقرار الطبيعي، بينما انتشرت الأمم في العالم في زمن نوح.

واعتنق العهد مع إبراهيم المبادئ التأسيسية لزمن آدم والاستقرار الطبيعي لزمن نوح. لكن، مع حلول زمن إبراهيم، حصر الله تركيز عهده بصورة رئيسية في إسرائيل كشعبه المفضل. ولهذا السبب، يجب أن تُطبّق البنى اللاهوتية الشاملة للعهد السابقة على آباء إسرائيل الأولين بطرق

تتناسب معهم كشعب مختار. على سبيل المثال، تم تطبيق الوصية بالتكاثر والسيطرة على كل الأرض التي أُعطيت لآدم، بصورة محدّدة على سعي إسرائيل للتكاثر كجنس وامتلاك أرض الموعد. وتم تطبيق الوعد بالاستقرار الطبيعي على آباء إسرائيل الأولين بينما كانوا يتمتعون ببركات الطبيعة في أرض الموعد.

ويعود عهد الشريعة مع موسى إلى الأساس مع آدم، الاستقرار مع نوح والوعود لإبراهيم، لكن طبّق موسى هذه البنى اللاهوتية السابقة على بني إسرائيل في زمنه بطرق حذرة جداً. وكان يجب أن يُنظر إلى إجراءات العهود السابقة في ضوء أنظمة العبادة والحياة الاجتماعية، المُعلن عنها في شريعة موسى في سيناء.

وَبُنِيَ عهد داود المَلَكِي على أساس آدم، الوعد بالاستقرار الطبيعي لنوح، الوعود لإبراهيم، وشريعة موسى. لكن حالما تأسست سلالة داود، كان لابد أن يُنظر إلى كل تلك البنى اللاهوتية السابقة في ضوء مركزية مُلك داود، مدينة أورشليم وهيكلها.

ويمكننا تلخيص الأمر بهذه الطريقة. لم تكن المسألة في كل التطوّرات الزمنية للعهد القديم، فيما إذا كانت المعايير اللاهوتية للعهد السابقة تنطبق على الفترات اللاحقة. إلا أن السؤال المهم كان كيف تنطبق. إن الإجابة على هذا السؤال هي المهمة المستمرة للاقتربات التاريخية الزمنية نحو العهد القديم.

بعد أن رأينا كيف تطوّر لاهوت العهد القديم من عهد لآخر، يجب أن ننتقل إلى موضوعنا الرئيسي الثالث وهو: كيف تتبّع اللاهوتيون الكتابيون الطرق التي تطوّرت من خلالها مواضيع محدّدة في تاريخ العهد القديم.

سبق ورأينا أن إحدى الاستراتيجيات لكتابة رسالة إلى صديق حول أحداث السنة الماضية، هي بوصف الطريقة التي تجتمع فيها عدة عوامل معاً وتقسم السنة إلى فترات مُميّزة. وتتوافق هذه المقاربة مع الطرق التي درس بها اللاهوتيون الكتابيون التطوّرات الزمنية في العهد القديم. وتوجد طريقة أخرى للكتابة عن نفس السنة، وذلك من خلال تناول مناطق محدّدة في حياتك، مثل عائلتك، كنيستك، حالتك الروحية ووصف كيف تطوّرت كل منطقة بشكل فردي خلال السنة كلها. وقد تبدأ كل فقرة من تلك الرسالة كالتالي: "هذا ما حدث في عائلتي في السنة الماضية". "هذا ما حدث في كنيسة في السنة الماضية". هذا ما حدث لحالتي الروحية في السنة الماضية".

وبنفس الطريقة، يمكن وصف تطوّرات لاهوت العهد القديم من خلال مواضيع محدّدة. وحتى تُكوّن فكرة عن كيف يعمل هذا الاقتراب، سنعمل في اتجاهين. أولاً، سننظر كيف عالج اللاهوتيون الكتابيون المواضيع التقليدية من علم اللاهوت النظامي. وثانياً، سننظر في المسألة الخاصة المتعلقة بعلم تفسير الرموز الكتابية. لنبدأ بالطرق التي كوّن بها علم اللاهوت النظامي مواضيع اهتمام بالنسبة للاهوتيين الكتابيين.

تطوّرت مواضيع علم اللاهوت النظامي التقليدية إلى مجموعة من الاهتمامات الثابتة إلى حد ما. حيث يعالج اللاهوتيون النظاميون، في الجزء الأكبر، أولاً اللاهوت الصحيح، أي عقيدة الله. ثم ينتقلوا إلى علم الإنسان، أي عقيدة البشرية، ويركّزوا بصورة خاصة على حاجة البشرية للخلاص. ويليه علم اللاهوت الخلاصي، أي عقيدة الخلاص. ثم يلقي علم الكنيسة المسيحية، أي عقيدة الكنيسة الانتباه، وأخيراً علم الأمور الأخيرة أي عقيدة الأيام الأخيرة.

لخص حتى اللاهوتيون الكتابيون لاهوت العهد القديم من وقت لآخر، تابعين هذه الفئات الأساسية. وقد حدث هذا لسببين على الأقل. فمن جهة، كان لعلم اللاهوت النظامي التقليدي تاريخاً طويلاً جداً وكان مفيداً جداً بالنسبة للاهوتيين الكتابيين. في الواقع، كانت نتائج علم اللاهوت النظامي التقليدي إيجابية، بحيث غالباً ما وجد اللاهوتيون الكتابيون الكثير من العون هناك. وسعى علم اللاهوت النظامي الجيد لأن يكون كتابياً بصورة شاملة، وقد قدّم علم اللاهوت النظامي الكثير لعلم اللاهوت الكتابي في هذا المجال. وبقدر ما يحتاج علم اللاهوت النظامي إلى الحث من علم اللاهوت الكتابي، يحتاج علم اللاهوت الكتابي إلى التراث الغني والاستقرار الموجودين في علم اللاهوت النظامي.

من جهة أخرى، غالباً ما تم تبني مواضيع علم اللاهوت النظامي في علم اللاهوت الكتابي التاريخي، لأن العديد من الإنجيليين آمنوا أن هدف علم اللاهوت الكتابي هو توفير المعلومات التفسيرية لعلم اللاهوت النظامي. ورأينا في درس سابق، أنه بالرغم من اختلافاتهم، فإن أشخاصاً عظيمي التأثير مثل تشارلز هودج، بنجامين. ب. وورفيلد وچردهاردس فوس نظروا إلى علم اللاهوت الكتابي كطريقة يجب أن ترتبط بها الأسفار المقدسة بعلم اللاهوت النظامي. وكنتيجة لذلك، غالباً ما يُنظر إلى علم اللاهوت الكتابي ليس كغاية بحد ذاته، بل كوسيلة لتطوير علم لاهوتٍ نظامي ينسجم مع الكتاب المقدس.

لهذه الأسباب وأخرى غيرها، من المستحيل تقريباً بالنسبة للاهوتيين الكتابيين أن يحرّروا أنفسهم كلياً من علم اللاهوت النظامي، بينما يستكشفوا تطوّر مواضيع محدّدة في العهد القديم. وحتى عندما قدّموا بصائر جديدة ناتجة عن دراستهم للأسفار المقدسة، قاد علم اللاهوت النظامي مناقشاتهم بطرق هامة. حيث استكشفوا العهد القديم بالنسبة للاهوت الصحيح، علم الإنسان، علم اللاهوت الخلاصي، علم الكنيسة المسيحية، وعلم الأمور الأخيرة. لكن عندما يهتم

اللاهوتيون الكتابيون بالتطورات التاريخية، فإنهم يسألون هذا السؤال المميز حول هذه المسائل:
كيف تطوّرت هذه العقيدة أو نضجت عبر تاريخ التغييرات اللاهوتية في العهد القديم؟

على سبيل المثال، قد يستكشف لاهوتيّ كتابيّ اللاهوت الصحيح. لكن بدلاً من التركيز على عقيدة الثالوث السرمدي كما هي الحال في علم اللاهوت النظامي التقليدي، ينظر اللاهوتيّ الكتابي إلى إعلانيّ العمل والكلمة المميّزين عن الله خلال فترات مختلفة في العهد القديم، منتبهاً باستمرار ألا يعتدي على الإعلان اللاحق، لكن أن يحذر أيضاً ألا يقرأ الإعلان اللاحق في الفترات السابقة. وقد يسأل لاهوتيّ كتابيّ ما يلي: "ما الذي أعلنه الله عن نفسه في زمن آدم؟ ما الذي أعلنه عن نفسه في زمن نوح؟ ماذا كانت عقيدة موسى عن الله؟" وإلى ما هنالك. وبينما عمِلَ الله وتكلم في التاريخ، أعلن المزيد عن نفسه. ولهذا السبب، تطوّرت عقيدة الله في موازاة بعض الأحداث في تاريخ العهد القديم.

بطريقة مشابهة، تتّبع اللاهوتيون الكتابيون كيف أن نواحٍ في علم الإنسان، علم اللاهوت الخلاصي، علم الكنيسة المسيحية وعلم الأمور الأخيرة تطورت خلال العهد القديم أيضاً. كيف طوّر العهد القديم نظرةً حول حالة البشرية؟ كيف عرض طريقة الخلاص خطوة خطوة؟ كيف تعامل العهد القديم مع موضوع شعب الله في فترات مختلفة؟ وكيف كشف نظرةً حول الأيام الأخيرة بشكل تدريجي؟

وبينما ركّز اللاهوتيون الكتابيون على كل من هذه المواضيع التقليدية، غالباً ما اكتشفوا أفكاراً جديدة كان قد تمّ إغفالها في علم اللاهوت النظامي التقليدي. واكتشفوا أحياناً نواحٍ يجب أن يُصحّح فيها علم اللاهوت النظامي، في ضوء علم اللاهوت الكتابي.

بعد أن كوّننا فهماً حول كيفية ارتباط التطوّرات الموضوعية في علم اللاهوت الكتابي بعلم اللاهوت النظامي، يجب أن ننقل إلى ناحية ثانية من التطوّرات الموضوعية في العهد القديم. ونقصد هنا مسألة تاريخية خاصة غالباً ما تسمى "علم تفسير الرموز الكتابية".

عندما يتحدث الرعاة والمعلمون المسيحيون عن هذا أو ذاك كرمز لشيء آخر، فإنهم يشيرون عادة، إلى جوانب في العهد القديم كرموز للمسيح أو إلى جانب آخر للإيمان المسيحي. وكثيراً ما نسأل أنفسنا، "كيف توصلوا إلى هذا الرمز؟" كيف برروا استخدامه؟"، ولهذا فقد نسأل: "ما هو الرمز بالتحديد؟" فهناك العديد من حالات سوء الفهم لعلم تفسير الرموز الكتابية، فلا عجب إذا طرحنا هذه الأنواع من الأسئلة.

حتى نستكشف علم تفسير الرموز في علم اللاهوت الكتابي للعهد القديم، سنتناول ثلاث مسائل مختلفة. أولاً، سنعرّف ما نعنيه بالتعبير "علم تفسير الرموز الكتابية"؛ ثانياً، سنتناول خمس ميزات لعلم تفسير الرموز، وثالثاً سنستكشف عملية تحديد نماذج علم تفسير الرموز. لننظر أولاً إلى تعريف علم تفسير الرموز الكتابية.

إن مصطلح "علم تفسير الرموز" مستخدم بطرق متنوعة في فروع الدراسات الأخرى مثل العلوم والدراسات الأدبية. لكن اهتمامنا في هذا الدرس، هو بفكرة علم تفسير الرموز في علم اللاهوت الكتابي. وبمعنى واسع جداً، يُطبّق علم اللاهوت الكتابي مصطلح "علم تفسير الرموز" على أي تطوّر تاريخي للمواضيع في لاهوت العهد القديم. ويشكل كل أثر للمراحل التاريخية لموضوع ما، علم تفسير الرموز بهذا المعنى للكلمة. ويتكلم اللاهوتيون الكتابيون أحياناً عن علم تفسير الرموز لعقيدة الله، أو علم تفسير الرموز للعبادة، ويعنون ببساطة أن هذه هي الطرق التي تطوّرت فيها

هذه المواضيع في الكتاب المقدس. لكن استخدم اللاهوتيون الكتابيون المعاصرون، في الجزء الأكبر، مصطلح علم تفسير الرموز بمعنى أضيق.

يمكننا تلخيص هذا المعنى الخاص بهذه الطريقة:

علم تفسير الرموز الكتابية هو دراسة التطورات التاريخية بين البنى اللاهوتية المرتبطة بالأشخاص، المؤسسات والأحداث في الكتاب المقدس عن كثب.

ويمكننا أن نقول، بلغة بسيطة، أن علم تفسير الرموز هو دراسة الرموز. وتُستمدّ كلمة "رمز" من الكلمة اليونانية **tupos** وهي مُستخدمةٌ خمسة عشر مرةً في العهد الجديد. وتكلم كتاب العهد الجديد في ثلاثة فقرات هامة عن بنى لاهوتية خاصة في العهد القديم "كرموز" لبنى لاهوتية أخرى في إيمان العهد الجديد.

على سبيل المثال، اصغ لما يقوله الرسول بولس عن آدم في رومية (5: 14):

«لَكِنْ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى وَذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعْدِي آدَمَ الَّذِي هُوَ مِثَالُ الْآتِي».

لاحظ هنا أن بولس أعلن أن آدم كان "مِثَالُ الْآتِي". إن الكلمة اليونانية المترجمة مثال هي **tupos**. ونعرف من السياق الأوسع أن "الآتي" هو المسيح. لذلك، لاحظ بولس، في هذه الحالة، أن آدم هو رمزٌ للمسيح.

إن نسخة العهد الجديد في رسالة بطرس الأولى (3: 20-21) المطابقة لرمز العهد القديم مُشارٌ إليها "بالحقيقة". حيث نقرأ هناك هذه الكلمات:

«فِي أَيَّامِ نُوحٍ إِذْ كَانَ الْفُلُكُ يُبْنَى الَّذِي فِيهِ خَلَصَ ... ثَمَانِي أَنْفُسٍ بِالْمَاءِ. الَّذِي مِثَالُهُ يُخَلِّصُنَا نَحْنُ الْآنَ أَيَّ الْمَعْمُودِيَّةِ».

إن الكلمة اليونانية المترجمة "الذي مثاله"، في هذا المقطع، هي **antítupos** أو "الحقيقة". وهكذا، عُرِضَت المعمودية المسيحية في هذا المثال كنسخة العهد الجديد المطابقة لطوفان نوح. وتكلم الرسول بولس مرةً في **كولوسي (2: 17)** عن شريعة العهد القديم الطقسية مع اختلاف هام في استخدام المصطلحات.

«الَّتِي هِيَ ظِلُّ الْأُمُورِ الْعَتِيدَةِ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَلِلْمَسِيحِ».

تكلم بولس هنا عن شريعة موسى الطقسية "كظل" أي (**skia**) في اليونانية، أما **الأمور العتيدة** فهي "كالجسد" التي نجدها **للمسيح**. وبطريقة مشابهة، تكلم كاتب سفر العبرانيين عن علم تفسير الرموز كظلال وعن الحقائق كحقائق.

ومع ذلك، لم يستخدم كتاب العهد الجديد، في معظم الأحيان، أية مصطلحات خاصة عندما أشاروا إلى نماذج علم تفسير الرموز الكتابية. فقد ربطوا أو ضموا عناصر خاصة من العهدين القديم والجديد مع بعضها البعض.

اصغ، على سبيل المثال، إلى الطريقة التي تحدث فيها يسوع عن الارتباط الرمزي بين حياة موسى النحاسية وبينه في **يوحنا (3: 14-15)**.

«وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الْإِنْسَانِ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ».

شبه يسوع الحية النحاسية، في هذه الفقرة، بصلبه بدون أية مصطلحات خاصة. لكن ما زال بإمكاننا القول أن الحية كانت رمزاً للصلب وأن الصليب كان "حقيقة" معبرة عن الحية.

انطلاقاً من هذه الفكرة عن علم تفسير الرموز، يجب أن ننقل إلى عدد من الميزات المحددة لعلم تفسير الرموز التي يتعرّف عليها اللاهوتيون الكتابيون عادةً.

ومن أجل أهدافنا، سنعطي انتباهاً لخمس مسائل. أولاً، سنرى كيف تعمل نماذج علم تفسير الرموز كمجاز لغوي. ثانياً، سنركز على تنوع العناصر في نماذج علم تفسير الرموز الكتابية. ثالثاً، سنشير إلى أن نماذج علم تفسير الرموز هي مقارنات بين البنى اللاهوتية. رابعاً، سنرى كيف تمثل نماذج علم تفسير الرموز التطورات اللاهوتية. وخامساً، سنلفت الانتباه إلى الصفة التسلسلية للعديد من نماذج علم تفسير الرموز في الكتاب المقدس. تأمل أولاً كيف تعمل نماذج علم تفسير الرموز كمجازات لغوية.

سيساعدنا على المستوى اللغوي، أن نعرض تعبير علم تفسير الرموز في الأسفار المقدسة كمجاز لغوي خاص، أو لأكون محدداً أكثر، كتشبيه مقارنة. إن تشبيهات المقارنة هي طرق غير مباشرة لوصف أشياء عن طريق مقارنتها بشيء آخر، كما نعمل في الاستعارات، التشبيه والتماثلات وما شابه. ويمكننا فهم الكثير عن علم تفسير الرموز في الكتاب المقدس عن طريق عرضه كتشبيهات مقارنة.

يعمل كل مجاز لغوي من خلال ثلاثة عناصر: الصورة وهي المادة التي يتم مقارنتها مع المادة الرئيسية التي نتناولها، الموضوع الذي يشكّل المادة الرئيسية لاهتمامنا، ونقاط المقارنة بين العنصرين. على سبيل المثال، فُكّر بالتشبيه البسيط التالي: "إن ناطحة السحاب تلك عالية كالجبل". إن الصورة في هذه الجملة هي جبل. وهو المادة التي يتم مقارنتها بالاهتمام الرئيسي.

والاهتمام أو الموضوع الرئيسي هو "ناطحة السحاب تلك"، أي البناء الذي أمامنا. ونقطة المقارنة الواضحة هي "أن كلاهما عالي".

عندما نستخدم المجازات اللغوية، فإننا لا نذكر هذه العناصر الثلاثة بوضوح دائماً. ولكن تُذكر الصورة، الموضوع ونقطة أو نقاط مقارنة أكثر ضمناً على الأقل، حتى يوصل أي من المجازات اللغوية الفكرة بنجاح.

كما وتظهر هذه العناصر الثلاثة أيضاً بشكل واضح أو ضمني في علم تفسير الرموز الكتابية. أولاً، يعمل "الرمز" كصورة، وهي مادة تتم مقارنتها بالمادة الرئيسية لاهتمامنا. ثانياً، "الحقيقة" هو الموضوع، أي المادة التي يتم مقارنة الرمز بها. وثالثاً، يرتبط الرمز والحقيقة ببعضهما البعض بنقطة مقارنة أو أكثر.

على سبيل المثال، ستذكر أن بولس الرسول أعلن في رومية (5: 14) بأن آدم كان "مثال، أو رمز، للآتي، الذي هو، المسيح". في هذه الحالة، آدم هو الصورة أو الرمز الذي يتم مقارنته بالمسيح، والمسيح هو الموضوع أو الحقيقة. وتتوضَّح نقاط المقارنة بين آدم والمسيح في السياق الأوسع لرومية 5. آدم هو رمز للمسيح لأنه لكلا أعمال آدم وأعمال المسيح تأثيرات واسعة وذات صلة على الناس المرتبطين بهما. من جهة، مات أولئك الذين ارتبطوا بآدم، ومن جهة أخرى، نال أولئك الذين ارتبطوا بالمسيح الحياة الأبدية.

إن الميزة الثانية لعلم تفسير الرموز الكتابية هي أن العناصر التي يتم مقارنتها تختلف تماماً. حيث تُعقد المقارنات بين أنواع مختلفة من الأشياء.

هناك عدة طرق لتصنيف العناصر التي تعمل كرموز وحقائق، ولكن سيساعدنا أن نقسمها إلى ثلاث مجموعات أساسية، قد تكون الرموز والحقائق أشخاصاً، مؤسّسات، أو أحداث هامة. ونعني "بالأشخاص" الشخصيات التي تظهر في الأسفار المقدسة، مثل الشخصيات البشرية المهمة، المخلوقات الروحية، الله، وفي بعض الحالات النادرة نواحي أخرى من الخليقة التي يتم تشخيصها. ونعني بالمؤسّسات الحقائق التاريخية الباقية، مثل العقارات الهامة، أو أماكن ذات أهمية ثابتة، الطقوس، المنظّمات، المباني الهامة، وما شابه. ونعني بالأحداث ببساطة الأحداث التاريخية الهامة، أي الأمور التي حدثت. وقد تتألف الرموز والحقائق من مزيج من هذه العناصر الثلاثة.

وتعكس أمثلة علم تفسير رموز العهد الجديد التي سبق وأشرنا إليها، بعضاً من هذا التنوع. وقارن علم تفسير الرموز لبولس بين آدم والمسيح في رومية (5: 14) ما بين شخصٍ مهم وآخر. قارن بطرس في رسالة بطرس الأولى (3: 21)، طوفان نوح بمؤسسة المعمودية المسيحية. كما وقارن يسوع في يوحنا (3: 14)، حدّث رَفْع موسى للحية النحاسية بحدّث صلبه. وتحدث أمزجة أخرى في أماكن أخرى في الأسفار المقدسة. مهما كانت الحال، تقارن نماذج علم تفسير الرموز بين الأشخاص، المؤسّسات والأحداث الهامة.

ثالثاً، تقارن نماذج علم تفسير الرموز في الكتاب المقدس، بين البنى اللاهوتية المرتبطة بعناصرها عن كتب.

للأسف، كثيراً ما يصبح اللاهوتيون الكتابيون الإنجيليون ذوو النية الحسنة، مفتونين بعلم تفسير الرموز بشكلٍ كبير، حتى أنهم يجدوا رموز وحقائق تقريباً في كل مرة يرون فيها تشابهاً بين

مادتين في الأسفار المقدسة. لكن تتضمن مقارناتهم بشكلٍ متكرّرٍ ميزات متطابقة، بدلاً من روابط لاهوتية أساسية.

على سبيل المثال، كان لإبراهيم يدان، ولكن لم يكن هناك سبب وجيه للتفكير بأن إبراهيم كان رمزاً لشخصيات كتابية لاحقة كان لها يدان. ولا تشير حقيقة ارتداء الناس أثواباً في أكثر من مرة في العهد القديم، إلى أنهم كانوا رموزاً وحقائق لبعضهم البعض. وتتعامل هذه الأنواع من المقارنات بأكثر من تطابقات تاريخية.

بدلاً من تشتيت فكرنا بهذه المقارنات غير الهامة، تتألف نماذج علم تفسير الرموز الراسخة من مقارنات لبني لاهوتية هامة مرتبطة بعناصرها. وليست عناصر نماذج علم تفسير الرموز، الأشخاص، المؤسسات، والأحداث قائمة بذاتها في نماذج علم تفسير رموزها، ولكنها تخدم كمجازات لغوية، أي الأجزاء التي تمثل أفكاراً لاهوتية مرتبطة عن كثب بشكل أكبر. وعندما ذكر الكتّاب الكتابيون الأشخاص، المؤسسات، أو الأحداث الخاصة كعناصر لنماذج علم تفسير الرموز، فإنهم في الحقيقة كانوا يفكّرون ببني لاهوتية أكبر مثلتها تلك العناصر.

فكّر ثانيةً بمثال بولس عن آدم كرمز للمسيح في رومية (5: 14). لم يُقارن بولس حقيقة أن لكلا الرجلين شعر. ولم يلفت الانتباه إلى أن لكليهما عينان وأذنان. ولكن أشار بولس إلى علم تفسير الرموز هذا، لأنه كان يقارن الأهميات اللاهوتية لآدم وللمسيح. وكانت مقارنة بولس مبنية على ملاحظة أنه كان لكلا الرجلين تأثيرات عظيمة على حالة الناس المرتبطين بهما.

يمكن قول الشيء نفسه عن علم تفسير الرموز لبطرس بين طوفان نوح والمعمودية المسيحية في رسالة بطرس الأولى (3: 20-21). حيث يوضّح السياق الأوسع لرسالة بطرس أنه كان مهتماً بالأهمية اللاهوتية للطوفان، باعتباره الطريقة التي انتقل فيها نوح من عالم الدينونة الإلهية، إلى عالمٍ جديد باركه الله. وطبعاً، ترتبط المعمودية المسيحية باعتقادات مشابهة، لأنها ترمز لانتقالنا من عالمٍ مصيره الدينونة إلى الخليقة الجديدة في المسيح. وكان هذا هو المستوى الذي قارن به بطرس بين المياه في يوم نوح ومياه المعمودية.

إن الميزة الرابعة لنماذج علم تفسير الرموز في الأسفار المقدّسة هي أنها تعكس دائماً التطوّرات التاريخية. وعندما تحدد الأسفار المقدّسة الرموز والحقائق، فإنها تنتمي دائماً إلى فتراتٍ مختلفة في التاريخ، وبالتالي تعكس تطوّرات لاهوتية تاريخية بين هذه الفترات.

ولهذا السبب، وكما هو الحال مع كل تشبيهات المقارنة، يتضمّن علم تفسير الرموز أوجه شبه واختلاف بين عناصره. فمن ناحية، يمكننا رؤية أوجه الشبه. إن أشخاص ومؤسسات وأحداث معيّنة هي رموز لأشخاص ومؤسسات وأحداث لاحقة لأن أهميتها اللاهوتية متشابهة. لكن من ناحية أخرى، إن هذه العناصر القابلة للمقارنة غير متشابهة، فهي لا تتطابق تماماً. ومع مرور الوقت، حدثت إعلانات جديدة بين الرموز ونقائضها، مما أدى إلى تطوّرات في الأهمية اللاهوتية.

فكّر مرةً أخرى بعلم تفسير الرموز لبولس في رومية (5: 14)، حيث كان آدم هو الرمز، والمسيح هو الحقيقة. وكما رأينا، فإن آدم مشابه للمسيح من الناحية اللاهوتية، من حيث أن

لكليهما تأثيرٌ واسعٌ على الطريقة التي نظر بها الله إلى كل المرتبطين بهما. لكن علينا أن نلاحظ أيضاً أن بولس شدّد على فرق هام جداً بينهما، بسبب تطوّرات تاريخية.

اصغ إلى ما قاله الرسول بولس في رومية (5: 15):

«وَلَكِنْ لَيْسَ كَالْخَطِيئَةِ هَكَذَا أَيْضاً الْهَبَةُ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيئَةٍ وَاحِدٍ مَاتَ الْكَثِيرُونَ فَبِالْأُولَى كَثِيراً نِعْمَةٌ اللَّهِ وَالْعَطِيئَةُ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي بِالْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ قَدْ أَزْدَادَتْ لِلْكَثِيرِينَ».

لاحظ هنا أن بولس لم يُشير إلى أوجه الشبه بين آدم والمسيح ببساطة. بل أشار أيضاً إلى فارق حاسم بينهما. حيث عاش آدم في حقبة التاريخ الكتابي الأولى، وأدخل عصيانه الخطية والموت إلى التاريخ البشري. بينما عاش المسيح في المراحل الأخيرة من التاريخ الكتابي، عندما كان ينبغي لأهداف الله أن تتم. ونتيجة لذلك، قدمت طاعة المسيح الحياة الأبدية. وكانت أوجه الاختلاف بين آدم والمسيح أساسية في علم تفسير الرموز لبولس مثل أوجه الشبه، وهذا ينطبق على كل نماذج علم تفسير الرموز.

إن إحدى الميزات الأخرى لنماذج علم تفسير الرموز هي أنها غالباً ما تظهر في سلاسل. فبدلاً من أن تتألف من رمز واحد وحقيقة واحدة فقط، يمكن أن تتضمن سلسلة من ثلاثة عناصر أو أكثر.

تأمل على سبيل المثال علم تفسير الرموز التسلسلي للعبادة في العهد القديم. وعلينا أن نقول بشكلٍ عام، أن عبادة البشر على الأرض في كل مرحلة، كانت تُقلد وتعكس عبادة الملائكة لله في السماء. ولكن تطوّرت ممارسة العبادة على الأرض بشكل تاريخي، وخلقت هذه التطورات

التاريخية نماذج علم تفسير رموز تسلسلية. في المقام الأول، بدأت العبادة في أيام آدم وحواء عندما وضعهما الله في جنته المقدسة.

اصغ إلى ما سجل سفر التكوين (2: 15):
«وَأَخَذَ الرَّبُّ الْإِلَهَ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا».

إن اللغة المستخدمة لوصف عمل آدم وحواء في الجنة هي لغة غير عادية. حيث تظهر في مواقع أخرى ضمن الأسفار الخمسة، مثل عدد (3: 7-8)، وعدد (8: 26)، حيث يصف موسى خدمة اللاويين في خيمة الاجتماع. إن استخدام موسى للغة عبادة خيمة الاجتماع لوصف عمل آدم وحواء في الجنة، يشير إلى أن موسى رأى رابطاً رمزياً بين جنة عدن وخيمة الاجتماع. ويتم التأكيد على علم تفسير الرموز هذا، من خلال حقيقة أن أسلوب بناء خيمة الاجتماع وزخرفتها عكست فردوس جنة عدن.

إن الطريقة التي وصف بها موسى فعاليات آدم وحواء في جنة عدن، تدل على أن البنية اللاهوتية للعبادة بدأت في جنة عدن. فعندما طُرد البشر من الجنة، حدث تطوّر تاريخي في العبادة. كما وتدل أمثلة هابيل، شيث، نوح وإبراهيم، أن الله دعا شعبه للاستمرار في عبادته خارج الجنة، من خلال بناء مذابح للعبادة في أماكن مختلفة.

وفي وقت لاحق، عندما أخرج الله إسرائيل من مصر وقطع عهداً معهم في سيناء، حدث تطوّر تاريخي آخر في العبادة. حيث كانت عبادة إسرائيل متمركزة في خيمة الاجتماع حول تابوت العهد، الذي هو الموطن المَلَكِي لقدمي الله على الأرض.

بعدئذٍ، حالما استقرَّ شعب إسرائيل في الأرض، حدث تطوُّر تاريخي آخر في العبادة. حيث دعا الله شعبه لنقل تابوت العهد، وللعبادة في البناء الدائم للهيكَل في أورشليم.

أخيراً، بعد أن دَمَّر الكلدانيون هيكَل سليمان في أورشليم، أعلن النبي حزقيال إعلاناً جديداً بشأن العبادة. حيث تنبأ بأنه حتى بعد السبي، سيبنى هيكَل أعظم، عندما يعود مُلك داود وتُبنى أورشليم ثانيةً. وليس مفاجئاً أنه خلال أيام زَرْبَابِلَ، أصرَّ النبيان حَجِّي وَزَكَرِيَّا على أنه كان ينبغي على الذين عادوا إلى أرض الموعد بعد السبي، أن يبنوا هيكلاً جديداً لعبادة الله.

وهكذا، نرى علم تفسير رموز تسلسلي وسط البنى اللاهوتية للعبادة، بدءاً من جنة عدن، وامتداداً إلى المذابح الأولى التي بُنيت قبل أيام موسى، إلى خيمة الاجتماع لموسى، ثم لهيكَل سليمان، وهيكَل زَرْبَابِلَ. وعالج الله بشكلٍ متكرّر في مراتٍ كثيرة في العهد القديم، مسائل لاهوتية هامة مرتبطة بأشخاصٍ، مؤسّسات وأحداث هامة. وغالباً ما شكّل انتباهه المتكرّر لهذه المسائل علم تفسير رموز تسلسلي.

بعد أن رأينا خمس ميزات لعلم تفسير الرموز في الأسفار المقدسة، يجب أن ننقل إلى مسألة ثالثة: كيف تتحدد نماذج علم تفسير الرموز في العهد القديم؟ وما هي الإجراءات التي ينبغي اتّباعها لاستكشاف تطوُّرات البنى اللاهوتية المعيّنة المرتبطة بأشخاصٍ، مؤسّسات وأحداث العهد القديم؟

سنجيب عن هذا السؤال بالنظر إلى رأيين رئيسيين حول نماذج علم تفسير الرموز. أولاً، يُعرض علم تفسير الرموز ك**توقُّع**. وثانياً: يُعرض علم تفسير الرموز ك**انعكاس**. لننظر أولاً إلى علم تفسير الرموز ك**توقُّع**.

عندما نفكر بعلم تفسير الرموز كتوقُّع، يكون لدينا الاعتقاد بأنه عندما ظهرت الرموز في تاريخ العهد القديم، كان مُصمِّمها لتشير إلى حقائق مستقبلية. وعبر تاريخ الكنيسة، تعامل معظم المُفسِّرين مع نماذج علم تفسير الرموز الكتابية بهذه الطريقة. وبحسب هذا الرأي، وضع الله بسيادته أشخاصاً، مؤسَّسات وأحداثاً هامة في التاريخ ليشير إلى الذين عاشوا في تلك الأيام بشأن ما سيأتي في المستقبل. ووصفت هذه النظرة التقليدية معظم الاقترابات المسيحية نحو علم تفسير الرموز الكتابية، بما في ذلك العقود الأولى لعلم اللاهوت الكتابي الإنجيلي. وتخلَّى العديد من اللاهوتيين الكتابيين في الأيام المعاصرة، عن النظرة التوقُّعية التقليدية هذه لصالح الاقتراب الذي غالباً ما يدعى "**بتداخل النصوص**". ويعالج تداخل النصوص نماذج علم تفسير الرموز ببساطة كظاهرة أدبية، أي الطرق التي يُعامل بها نص كتابي نصاً آخر، بدلاً من معالجة نماذج علم تفسير الرموز كحقائق تاريخية رتَّبها الله للإشارة إلى ما كان سيحدث في الأفق. وتم تخفيض نماذج علم تفسير الرموز الكتابية إلى الطرق التي عاملت بها النصوص الكتابية اللاحقة فقرات كتابية سابقة لغايات لاهوتية مُعيَّنة.

وبخلاف هذه الميول الحديثة، وصف كُتَّاب العهد الجديد علم تفسير الرموز "**بتداخل الحقائق**". وبكلمات أخرى، كانت الرموز حقائق تاريخية توقعت فعلاً الحقائق التاريخية المستقبلية كحقائقها. وكما ستذكر، في رومية (5: 14)، دعا بولس آدم "**بالمثال الآتي**". حيث كتب بولس عن آدم التاريخي، وليس فقط عن نص سفر التكوين، باعتباره إنذاراً بالمسيح التاريخي. وبطريقة مشابهة، أشار بولس في كولوسي (2: 17) إلى رمز شريعة العهد القديم الطقسية، على أنه "**ظِلُّ الأُمُور**".

الْعَيْدَةِ". وتقرح استعارة الظل هذه بأن طقوس العهد القديم نتجت من الحقائق في المسيح ملقياً ظلمهم في الحقائق التاريخية للماضي. ومتابعةً لشهادة العهد الجديد، ينبغي أن نؤكد أن الله ربَّ التاريخ بعنايته الإلهية، بحيث توقع أو أُنذر بعض الأشخاص، المؤسسات والأحداث السابقة، بأشخاص، مؤسسات وأحداثٍ لاحقة.

إن أحد الأسئلة الذي يتم طرحه بسبب التأكيد على النظرة التوقعية للرموز هو: هل فهم الناس في العهد القديم المستقبل الذي أشارت إليه الرموز؟ هل كان شخصيات العهد القديم وكتبته قادرين على معرفة نقائص الرموز التي لاحت في الأفق من خلال النظر إلى الرموز في أيامهم؟

هناك أسئلة يمكننا أن نجيب فيها "بنعم". في المقام الأول، لا يمكننا أن نستثني أن الله أعطى من وقتٍ لآخر إعلاناتٍ مُحدّدة خاصة للناس، مكّنتهم من امتلاك هذه المعرفة بالمستقبل. على سبيل المثال، ربما تمكّن الأنبياء وبعض الشخصيات القيادية في العهد القديم من رؤية كيف توقعت الرموز الحقائق المستقبلية إلى حدٍ ما.

في المقام الثاني، قد يتوقع الناس الذين يعيشون في أيام الرموز الحقائق المستقبلية في بعض الأحيان، بتطبيق وسائل اعتيادية أكثر. وفي أحيان كثيرة، كانت الرموز في العهد القديم مرتبطة ببني لاهوتية كان الله قد أعلن تطوّراتها المستقبلية. هذا يعني، أن الله أشار إلى الطرق التي ستتحرك بها بني لاهوتية معيّنة نحو غاية أعظم. وبقدر ما ارتبطت الرموز السابقة بالحقائق المستقبلية التي تمّ مشاهدتها، فقد أشارت إلى أنواع الحقائق المستقبلية التي يمكن توقُّعها.

على سبيل المثال، وكما قلنا خلال هذه السلسلة، أعلن الله لآدم وحواء في تكوين (1: 28) المصير النهائي للأرض، عندما أمرهما بأن يمدوا فردوس جنة عدن إلى كل الأرض بالتكاثر والسيطرة على الأرض. وأعلن الله، منذ البدء، أنه رتب صورته لتجعل كل العالم مكاناً مقدساً رائعاً كجنة عدن. وفهم آدم وحواء أن روعة جنة عدن نفسها كانت كرمز، أي توقّع لما سيحدث يوماً ما في كل العالم.

أشار الله، في تكوين (15: 18)، إلى الطرق التي ارتبطت بها حدود النهر لأرض إبراهيم الموعودة بأنهار أرض جنة عدن. وهكذا، عندما سار إبراهيم في أرضه الموعودة، فهم أن أرضه لم تكن غايةً في ذاتها، ولكنها نقطة البداية التي سينشر منها أنساله بركات الله في كل الأرض.

ولهذا السبب استنتج بولس ما يلي في رومية (4: 13):

«فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثاً للعالم بل ببيت الإيمان». كانت الأرض الموعودة لإبراهيم نقطة البداية لنشر إسرائيل لبركات الله إلى أقاصي الأرض.

بهذا المعنى، ومثل جنة عدن، كانت أرض الموعد الموعودة لأنسال إبراهيم أيضاً، رمزاً توقّع ما سيكون عليه العالم كله يوماً ما.

بالإضافة إلى هذا، كانت حدود أرض الموعد المذكورة في تكوين (15: 18)، الحدود التي وصلت إليها مملكة داود بعدها بأجيال. حيث وصل داود الحدود القصوى للأرض الموعودة لإبراهيم. ومن هناك، أراد أحفاد داود الأمان نشر بركات الله إلى الأمم الأخرى. وبهذا المعنى،

كان تأسيس عرش داود على هذه المنطقة من الأرض أيضاً، بمثابة تَوْعٍ لما سيحدث لكل العالم يوماً ما.

اصغ إلى الطريقة التي يتوَّع بها مزمو (72: 11 و 17) حكم الابن المستقبلي لداود: «وَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ الْمُلُوكِ. كُلُّ الْأُمَمِ تَتَعَبَّدُ لَهُ... يَكُونُ اسْمُهُ إِلَى الدَّهْرِ. قُدَّامَ الشَّمْسِ يَمْتَدُّ اسْمُهُ، وَيَتَبَارَكُونَ بِهِ. كُلُّ أُمَّمِ الْأَرْضِ يُطَوِّبُونَهُ».

وهكذا، نرى أنه كما كان على آدم وحواء أن يمتدَّا من جنة عدن إلى أقاصي الأرض، وكما أُعطي إبراهيم أرض الموعد لنشر بركات الله إلى أقاصي الأرض، امتلك بيت داود أرض الموعد لنشر حكم الله والبركات إلى أقاصي الأرض.

تَوَّع كل ما أنجزه الله، في كل مرحلة، ما كان سيحدث في المستقبل. وتمكن شعبه أن يتوَّعوا بدرجة ما الأهمية الرمزية لما كانوا يختبرونه في أيامهم، وكيف أشار إلى الحقيقة الأعظم في المستقبل.

في حالات أخرى كثيرة، كان شعب العهد القديم، الذين فهموا أهداف الله، قادرين على رؤية أن أشخاصاً، مؤسسات، وأحداثاً مُعَيَّنة كانت رموزاً أنذرت بالأمور الآتية. وكان فهمهم محدوداً بلا شك، ولكنهم تمكَّنوا من فهم عدة نواحٍ للطرق التي توقعت بها الرموز في أيامهم المستقبل.

رغم صحة هذا الأمر، مهم أيضاً أن ندرك أنه في عدة حالات أخرى لا يكون فهم الرموز والحقائق مسألة تتعلق بالتوَّع، ولكن بالتأمل. إن تحديد كيفية تطور معظم الرموز إلى حقائقها، يتضمَّن التفكير من منطلق معيار الأوقات اللاحقة على أشخاص، مؤسسات، وأحداث سابقة.

فكّر بهذا التمثيل القياسي: افترض أن في يدك بلوطة، وأنت تريد أن تعرف كيف ستبدو هذه البلوطة عندما تصبح شجرة ناضجة. تبدو شجرة البلوط المكتملة النمو مختلفةً عن البلوطة بشكلٍ كبير. وهكذا، بمعزل عن بعض القدرة فوق الطبيعية للتنبؤ بالمستقبل، لن يكون سهلاً أن تعرف الكثير عمّا ستبدو عليه البلوطة التي في يدك عندما تصبح شجرة ناضجة.

من نواحٍ كثيرة، كان هذا هو الوضع الذي واجهه البشر في العهد القديم. وكثيراً ما تبدو الرموز مختلفة جداً عن حقائقها، حتى أن توقُّع التطوّرات سيكون شبه مستحيل. على سبيل المثال، مع أن بطرس أشار إلى طوفان نوح كرمز للمعمودية المسيحية، فمن كان في أيام نوح قادراً على تخيّل أن ذلك الطوفان العالمي الانتشار في ذلك الوقت، توقّع معمودية الأفراد في المسيح؟ وكان من المستحيل على أحد الإسرائيليين العاديين الذي عاشوا في زمن موسى، أن يعرف أن حياة موسى النحاسية أنذرت بصلب المسيح. وتبدو الحقائق ببساطة مختلفة تماماً عن رموزها حتى يتم التنبؤ بها بمعزل عن الإعلان فوق الطبيعي.

وهكذا دعونا نعود إلى تمثيلنا القياسي ونتقدّم خطوةً أبعد. افترض أننا أخذنا عيّنةً من البلوطة، وعملنا تحليلاً شاملاً لمورثاتها الجينية. وبعمل هذا، نتعلم الكثير عن الصفات الأساسية للبلوطة. ورغم هذا، لا تحدّد المورثات الجينية كل ميزة للشجرة الناضجة التي ستصبح عليها البلوطة. ويمكننا أن نجزم بأن البلوطة ستصبح شجرة بلوط، وليس شجرة تفاح أو إجاص. ولكن لا يمكننا معرفة تفاصيل كثيرة معيّنة مثل ارتفاعها، عدد الأغصان أو حجم جذورها. حيث تتأثر هذه الميزات بقوى خارجية مثل الطقس، مصدر المياه، التغذية، الضوء، والأمراض. فهي لا تتحدّد تماماً بالشيفرة الجينية.

ويمكننا، بنفس الطريقة، أن نكون قادرين على فهم الشيفرة الجينية أو البنى اللاهوتية المرتبطة بالأشخاص، المؤسسات، والأحداث المعينة التي تعمل كرموز في التاريخ الكتابي. ويمكن أن تزودنا هذه المعرفة ببعض التوقعات بشأن تطورات لاحقة، ولكن لا يمكن التنبؤ بالتطورات بين الرمز وحقيقته بهذه الوسيلة بشكل كامل. وغالباً ما تقود الإعلانات الجديدة من الله التاريخ في اتجاهات غير متوقعة. وحتى مع فهم شامل للأهمية اللاهوتية لرمز ما، لا يمكننا أن نتنبأ دائماً بتفاصيل حقائقه.

وبدلاً من محاولة فهم الرموز والحقائق بالتنبؤ باللاحق من السابق، يجب أن نعتمد عادةً على عملية التأمل. ومثل الكُتَّاب الكتابيين، علينا أن نستفيد من وضعنا التاريخي، ونفكر بالطرق التي تطور بها أشخاص، مؤسسات وأحداث سابقة إلى حقائق لاحقة بالفعل.

دعونا نعود إلى تمثيلنا القياسي مرة أخرى. فإذا زرنا مجموعةً من البلوطات، سنكون، بعد عدة سنوات، قادرين على مقارنة تحليل الشيفرة الجينية لكل شجرة في الغابة، مع تحليل الشيفرة الجينية الأصلي لكل بلوطة. ومن هذا المنطلق، يمكننا مطابقة كل شجرة بالبلوطة التي أتت منها. وبنفس الطريقة، يمكننا تحديد الرموز من منطلق معرفة البنى اللاهوتية للفترات اللاحقة، وذلك بمقارنة بُناها اللاهوتية بالبنى اللاهوتية المرتبطة بالأشخاص، المؤسسات والأحداث اللاحقة.

فهم بولس، بصفته مسيحياً، البنى اللاهوتية المرتبطة بطاعة المسيح، وتمكّن من رؤية المقارنة مع البنى اللاهوتية المشابهة المرتبطة بعصيان آدم. وتحدّث عن آدم، على هذا الأساس،

باعتباره رمزاً للمسيح. وفهم بطرس البنى اللاهوتية المرتبطة بمياه المعمودية المسيحية، وأشار إلى علاقتها بالبنى اللاهوتية المرتبطة بمياه طوفان نوح. وفهم يسوع الأهمية اللاهوتية لصلبه، ووضعها جنباً إلى جنب مع الأهمية المشابهة للحية النحاسية في زمن موسى. وهكذا، ورغم أن الرموز تتوقع حقائقها فعلاً، يمكننا عادةً تحديد هذه التوقعات بعد ظهور حقائقها في التاريخ.

عندما نفهم عملية التفكير هذه، يمكننا أن نرى أن تحديد نماذج علم تفسير الرموز هو جزء هام في دراسة التطور التاريخي في العهد القديم. وللتأكيد عندما تحدّد الأسفار المقدسة نماذج علم تفسير الرموز، فإنها تكون معيارية ويجب ألا تُناقضها. ولكن الأسفار المقدسة لا تتبّع بوضوح التطورات اللاهوتية التاريخية بشكلٍ شامل. وعندما يستكشف اللاهوتيون الكتابيون المدى الكامل للاهوت في العهد القديم، لابد أن يتعلموا الأهمية اللاهوتية للأشخاص، المؤسّسات والأحداث في الإعلان اللاحق، ومن ثم أن يحددوا حقائقها في الفترات السابقة للإعلان. وبهذه الطريقة، يمكنهم رؤية كيف تطوّر التاريخ عبر الزمن.

لقد تفحصنا في هذا الدرس التطورات التاريخية للعهد القديم. حيث اكتسبنا توجهاً أساسياً نحو الاقترابات التاريخية أو التطورية في دراسة لاهوت العهد القديم. رأينا كيف تطوّر لاهوت العهد القديم في الحقبات أو المراحل التاريخية. واستكشفنا تطورات مواضيع مُعيّنة في لاهوت العهد القديم أيضاً.

يمكننا قول المزيد عن التطورات التاريخية في العهد القديم. لكنّ سيقدم استيعاب ما قدّمناه في هذا الدرس، أساساً راسخاً لمزيد من البحث في الطرق التي تطوّر بها اللاهوت من الأيام الأولى لسفر التكوين إلى الأيام الأخيرة للعهد القديم.